حول المسجد

للأستاذ أحمد أمين

ساقني حسن الحظ إلى الحديث مع سيدة انجليزية فاضلة ، وكان ذهني مستغرقاً في برنامج « الأخلاق والتربية الوطنية للمدارس الثانوية » والمتحدثون — عادة — يلونون حديثهم — ولو من غير شعور — بما يشغل أذهانهم ويستغرق أفكارهم — ومهما بعُد المتحدث عن الموضوع الذي يستولي عليه فسرعان ما يعود إليه ، وينغمس فيه

لقد بدأنا الحديث في الجو وانتقلنا إلى غيره ، وإذا بنا نتكلم في « التربية والتعليم وشؤونهما » وإذا بي أسأل السيدة :

— ما برنامج الأخلاق والتربية الوطنية للمدارس الثانوية في انجلترا ؟

— ليس لها في المدارس برنامج معين ولا دروس خاصة ، ولكن تلقى فيها محاضرات في مناسبات ، وأهم ما يقوم بهذه المهمة « الكنيسة » فهي تنظم دروساً للشبان والشواب في هذا الموضوع ، ويقوم بها رجالها ، فيكفوننا بذلك مؤونة الدروس في المدارس ؛ وإلقاؤها في الكنائس يجعل لها معنى أجل ، واحتراماً أوفر ، وطعما أحلى

* * *

انتقل ذهني في سرعة البرق من الكنيسة عندهم إلى المسجد عندنا ، وساءلت نفسي :

ما الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها المسجد للأمم الاسلامية ؟

إني أفهم أن لمسجد الحي وظيفة اجتماعية هامة بجانب وظيفته الدينية ، هي الاشراف على تجلية الروح وتهذيب النفس بتنظيم المحاضرات في الموضوعات التي تمس العصر ، والمشاكل التي تعرض في كل زمن ، كما أن من وظيفته الاشراف على حالة الحي الاجتماعية ، وما يصاب به من بؤس وفقر وانغماس في المخدرات ونحو ذلك ؛ ثم تنظيم الاحسان والقيام بالخدمة العامة بين الأغنياء والفقراء ، وإسداء النصائح للأسر فيما يعرض لهم من متاعب وصعاب

إني أفهم من مسجد الحي أن يكون كمستشفى الحي ، غير أن المستشفى يداوي الأمراض الجسمية ، والمسجد يداوي الأمراض الروحية والاجتماعية

إني أفهم أن يكون إمام المسجد رئيس المستشفى يعرف مرضى الحي ، ويعرف علاجهم ، ويكون صلة تآلف وتعارف بين أهل الحي ، يأخذ من غنيهم لفقيرهم ، ومن صحيحهم لمريضهم ، ويقضي على المنازعات والخصومات ما استطاع ، ويثقف الجهلاء ، ويتخذ من المثقفين من أهل الحي أعواناً وأنصاراً ، يخطبون ويعظون ، ويعلمون ويثقفون — وإذ ذاك يشعر أهل الحي بأن المسجد ضرورة من ضرورات الحياة ، يقوم لهم بما تقوم به المدرسة وبما تقوم به المحكمة ، وبما تقوم به جمعيات الاحسان ، وبما هو فوق هذا وذاك

بل لم لا يكون المسجد معهداً للمرأة كما يجب أن يكون معهداً للرجل ، فيخصص مسجد كل حي وقتاً لنساء الحي تعلم فيه المرأة واجباتها الدينية والاجتماعية ، وتفقه فيه في دينها ودنياها ، وترشد فيه إلى طرق إسعاد البيت ، وتثار همتها إلى العطف والاحسان وتنظيمهما

فالمرأة الآن محرومة من غذائها الروحي والديني ؛ لأنها بعيدة عن المسجد ، حرمت منه من غير حق ، وهو سلوتها في الأزمات ، وهو منهل عواطفها وغذاء روحها — لقد حرمت المرأة من المسجد ، فحرم أبناؤها وبناتها من العاطفة الدينية ، لأن الأم — غالباً — هي مصدر هذا الايحاء ، وإذا انحرفت مرة فلم تجد المسجد يهديها ويعزيها ، جمحت وغوت ؛ فهي الآن بين بيت وملهى ولا مسجد بينهما يذهب ملل البيت ويكسر من حدة الملاهي

هذا هو المسجد كما أتصوره ، وكما ينبغي أن يكون — قوي الأثر في النواحي الروحية والاجتماعية والتعليمية ، في الرجل والمرأة ، قلوب الحي معلقة به ، يغارون عليه ، ويعملون على ترقيته من حيث نظامه ونظافته وإمامه وخطباؤه ، ويرون أنه لهم وهم له ، وأن منارته ينبعث منها الاصلاح في جميع نواحيه ؛ متعلمو الحي جنوده في نشر الثقافة ، وأغنياؤه جنوده في محاربة الفقر ، ونساؤه دعاة أبنائهم وبناتهم إليه

هذا هو الوضع الصحيح للمسجد ، فأين مسجدنا منا ، وأين نحن من المسجد ؟

لقد اعتزل الناسَ واعتزله الناسُ ، ولم يشعر شعوراً قوياً بوجودهم ، ولم يشعروا شعوراً قوياً بوجوده

نظرت دار الآثار إلى بنائه فعدته « آثاراً » ونظر الناس إلى نظامه فعدوه كذلك « آثاراً » فليس يؤمه — مع الأسف — إلا الطبقة الفقيرة البائسة ، أو الموظف الذي أحيل إلى المعاش ؛

أو من تقدمت به السن من عامة الناس . أما الشباب المثقفون ومن أنعم الله عليهم بشيء من رغد العيش فلا يفكرون في المسجد ولا تحدثهم أنفسهم بزيارته ، وإن دخلوا لا يعرفوا كيف تؤدَّى شعائره إلا القليل النادر ، كأن السينما والمساجد اقتسما الناس ، فخص المسجد بالشيوخ والعجائز والفقراء ، وخص السينما بالفتيان والفتيات والأغنياء ، وهي حال لا تشعر بأمل ، ولا تبشر بخير

ووزارة الأوقاف كذلك عدّت المساجد « آثاراً » ، فهي تسير في تعيين أئمتها وخطبائها وفي مراقبتها سير القرون الخالية كأن الزمن لا يسير

والأئمة والخطباء يعاملونهـا معاملة « الآثار » فهم يقرأون غالباً الخطب التي ألفت في القرون الماضية ، فلا تحرك نفساً ولا تحيي همة — كل ما فيها « اتقوا الله » إجمالا من غير تفصيل . أما ما يحدث بيننا من أحداث ، وأما ما نشعر به من مصائب وما يتنابنا من كوارث ، فلا دخل لهم فيه ، لأن دواوين القدماء لم تنص عليه

ورحبت السياسة بهذا النظر الأثري إلى المساجد فاطمأنت إليه لأنه يخدمها ، وإلا فما بالنا نرى المسجد بعيداً عن الناس هذا البعد ، هل لو أراد الخطباء غير الامام أن يخطبوا في المسجد في إصلاح الحالة الاجتماعية أجيب طلبهم ؟ وهل لو نظمت محاضرات ثقافية في المسجد للشبان مرة والشواب مرة في الأخلاق والتربية الوطنية تسمح وزارة الأوقاف بذلك ؟ أكبر الظن أن لا

الحق أن للناس بعض العذر في الانصراف عن المساجد ، فلو عرف الخطباء كيف يكلمون الناس وعرف رجال الدين كيف يصلون إلى قلوبهم ، وشعر الناس أنهم يجدون في المسجد متعة روحية وغذاء دينياً واجتماعياً ، لتغير الحال وازدحم المسجد بالناس من جميع الطبقات

وقد كان المسجد في الاسلام يقوم بهذه النواحي التي ذكرنا ، فالخلفاء ونوابهم كانوا يخطبون في المشاكل الحاضرة — وكانوا يخطبون كلما حزبهم أمر أو عرض لهم مُهِمّ ، وكان للمسجد مدرسة للعلماء والمتعلمين والشعراء والمتأدبين ، وكان المسجد مكتبة للواردين والمترددين ، وكان المسجد مجمع الناس في الأعياد والمواسم ، وكان المسجد مكتب الصغار ومدرسة الكبار ، ولو سار في طريقه وتأقلم مع الزمن لكان يؤدي كل الخدم الاجتماعية التي أشرنا إليها من قبل ولكن « خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب »

هل للأزهر ووزارة الأوقاف أن يتعاونا على إصلاح المسجد ويضعا البرامج له على أنه مرفق اجتماعي كما هو مركز ديني ؟ ؟ . . إن إصلاحه على هذا الوضع تقوية للدين ، وإصلاح للناس ؟

في القطار الى (رأس البر) أحمد أمين

بين الأسطورة والتاريخ

هل احرق فاتح الاندلس سفنه ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تتخذ شخصية طارق بن زياد فاتح الأندلس مكانها بين عظماء الفاتحين ، لا في التاريخ الاسلامي وحده ، ولكن في تاريخ الأمم القديمة كلها ؛ وتعتبر موقعة شذونه أو « مدينا سدونيا » من أعظم الوقائع الحاسمة في تاريخ الانسانية ، ففيها افتتح العرب اسبانيا وغنموا ملك القوط ، وشادوا صرح تلك الدولة الأندلسية الزاهرة التي لبثت قروناً تبهر أمم الغرب بقوتها وفخامتها وروائع حضارتها وفنونها . بيد أنه من الغريب أن شخصية الفاتح العظيم — طارق — بينما تبدو في بعض نواحيها وضاءة مشرقة ، إذا بها تبدو في البعض الآخر خفيـة يكتنفها الغموض ؛ فالرواية الاسـلامية تختلف حول نشأة طارق وحول نسبته وجنسيته ، وتكاد تسدل على مصيره بعد الفتح ستاراً من الصمت والنسيان

ولسنا نعرض في هذا البحث لشخصية طارق أو تاريخه أو اختلاف الرواية في شأنه ، ولكنا نعرض لواقعـة ترتبط باسمه ، وقد يغلب عليها لون الأسطورة ، وإن كانت مع ذلك تعرض علينا في لون التاريخ الحق ، تلك هي واقعـة إحراق السفن التي نقل عليها طارق جيشه من الشاطئ الأفريقي إلى شاطئ الأندلس . ونحن نعرف أن فتح الأندلس قد تم بدعوة من الكونت يوليان القوطي حاكم سبتة والضيق لخصومة سياسـية وشخصية بينه وبين رودريك (لذريق) ملك القوط ، وأنه عاون العرب بخدماته ونصحه ، وأنه هو الذي قدم السفن التي عبر العرب عليها إلى الأندلس في بعثتهم الاستكشافية الأولى بقيادة طريف بن مالك